كتاب " صيد الخاطر " لابن الجوزي : تفاعل الأديب مع مجتمعه

بسمة أحمد الدجاني *

ملخص

أدب الخواطر من الفنون الأدبية التي لها قيمتها على الصعيد الشخصي؛ لما تمثله من جانب وجداني تعكس فيه شخصية كاتبها، وعلى الصعيد العام لما تمثله من جانب اجتماعي تعكس فيه صورة المجتمع الذي عاش فيه الكاتب وزمانه ومكانه.

وقد تميز كتاب " صيد الخاطر" للإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (508هـ- 597هـ) بمضمونه الفكري، وبلغته الأدبية السلسة، وبأسلوبه الممتع؛ مما يعزز أهمية عرضه ودراسته لبيان مدى ارتباط هذه النماذج من المراجع الأدبية الفكرية الجامعة بحياة كاتبها ومجتمعه.

يهدف هذا البحث لدراسة بعض محاور هذا الكتاب، رامياً إلى تسليط الضوء على تداخل التاريخ والفقه والأدب في تمثل الحياة الاجتماعية.

الكلمات الدالة: أدب، خواطر، تربية، عمل، النفس الإنسانية، الحياة الاجتماعية .

ابن الجوزي
حياته وشخصه

قبل تسعة قرون وبالتحديد بين عامي 508 و511هجرية، كان ميلاد عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي[1] في بغداد. وقد تألّق نجمه علماً من أعلام الحضارة الإسلامية؛ بما قدّمه في حياته الحافلة، وبما تركه من آثار بعد وفاته عام 597 هجرية. وخلال هذه العقود التسعة اشتُهر ابن الجوزي في زمانه ومكانه بعلمه الواسع في التاريخ والحديث، وبمحبته للعلم والأدب[2]. فكان كما عرَّف نفسه في كتابه صيد الخاطر[3]:"إني رجل حُبِّبَ إليَّ العلم من زمن الطفولة فتشاغلت به، ثم لم يُحبَّب إليَّ فن واحد منه، بل فنونه كلها، ثم لا تقتصر همتي في فن على بعضه، بل أروم استقصاءه".

وقد كانت هذه إحدى أبرز صفات أعلام الثقافة العربية الإسلامية في عصور الازدهار؛ حيث اتجهوا للخوض في بحور العلوم الواسعة، والأخذ من كل تخصص بما يفيد، وعدم الاكتفاء بالغوص في علم واحد. فكانت الشمولية ملمحاً بارزاً في دراساتهم، والاستفادة كبيرة في كتاباتهم وإنتاجهم الفكري.

واشتهر ابن الجوزي أيضاً بشخصيته التربوية التي تألقت بدورها في مجتمع آخر عصور الدولة العباسية[4]، وبجلسات الوعظ التي كان يُقبل عليها جماهير الناس من كل حدب وصوب.

وقد كان المجلس من أهم معاهد العلم في العصر العباسي؛ حيث ازدهرت المجالس الثقافية في ذلك العصر تبعاً للاهتمام العلمي، ورغبة في نيل الحظوة عند الخلفاء. وأقيمت المجالس بين العلماء وغيرهم من المشتغلين بالعلم والثقافة والفنون في الدور والقصور والمساجد، وفي حضرة الخلفاء والوزراء. وحظيت جلسات الوعظ بدور بارز بين المجالس، وكان لها دور مهم في تقويم المجتمع، وتوعية الأفراد على مختلف أشكالهم وبيئاتهم وأعمارهم. فعاصر ابن الجوزي ازدهار مجالس الوعظ في شبابه، وشهد أشهرها في بغداد في القرن السادس الهجري للإمام الشيخ عبد القادر الجيلي[5] الذي كان له أكبر الأثر في مجتمعه؛ فقد عُدَّ المُحدِّث في العصر العباسي من أكبر العلماء شأناً، وعدَّ أنذاك من أعظم رجال الإسلام. والتحديث في العصور الإسلامية كلها، يُعدُّ نوعاً من العبادة يحتاج إلى آداب خاصة[6]. ولمجالس الوعظ التي كان يقيمها ابن الجوزي صورة واضحة في كتابه صيد الخاطر؛ حيث سجل أهم الموضوعات التي تناولها، وقدم من خلالها الدروس لمجتمعه خلال عمره الطويل. فها هو يصف تأثيرها قائلاً:[7]" ولقد تاب على يدي في مجالس الذكر أكثر من مائة ألف، وأسلم على يدي أكثر من مائتي نفس، وكم سالت عين

* المعهد الدولي لتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، الجامعة الأردنية.
تاريخ استلام البحث 2010/3/30، وتاريخ قبوله 2011/6/29.

متجبر بوعظي لم تكن تسيل".

وقد وصف معاصروه مجالسه الوعظية في كتب الأدب بفائدتها العظيمة على من حضرها؛ حيث "تذكر بها الغافلون، وتعلم منها الجاهلون، وتاب فيها المذنبون، وأسلم فيها المشركون، فلم يكن لها نظير، ولم يسمع بمثلها"[8]. حتى إن الرحالة الأندلسي ابن جبير سجل ما شاهده في مجالس ابن الجوزي في بغداد عام 580هـ قائلاً[9]: " ثم شاهدنا مجلساً ثانياً له بكرة الخميس بباب بدر في ساحة قصر الخليفة ومناظره مشرفة عليه، وهذا الموضع من حرم الخليفة قد خُصَّ ابن الجوزي بالوصول إليه، والتكلم فيه ليسمعه من تلك المناظر الخليفة نفسه[10]، ووالدته ومن حضر من الحرم، ثم يفتح الباب للعامة فيدخلون إلى ذلك الموضع وقد بُسط بالحصر، وجلوس ابن الجوزي بهذا الموضع كل يوم خميس. فبكرنا لمشاهدته وقعدنا إلى أن وصل هذا الخبير المتكلم فصعد المنبر". وجاء أيضاً في وصف ابن جبير لقدرات ابن الجوزي في الخطابة والوعظ، وتأثُّر من حوله به: " وما كنا نحسب أن متكلماً في الدنيا يُعطَى من امتلاك النفوس، والتلاعب فيها ما أعطي هذا الرجل، فسبحان من يخص بالكلام من يشاء من عباده".

منهج التعليم عند ابن الجوزي:

وقد علل ابن الجوزي إقدامه على الكتابة في فنون وعلوم مختلفة في كتابه " صيد الخاطر" باستنكاره التخصص الضيق للعالم قائلاً: [11] " وإن الشاب المبتدئ طلب العلم فينبغي له أن يأخذ من كل علم طرفاً، ويجعل علم الفقه الأهم، ولا يقصر في معرفة النقل، فيه يتبين سير الكاملين. وإذا رُزِق فصاحة من حيث الوضع، ثم أضيف إليها معرفة اللغة والنحو، فقد شحذت شفرة لسانه على أجود مسن. ومتى أدى العلم لمعرفة الحق وخدمة الله عز وجل فتحت له أبواب لا تُفتح لغيره". فهو يضيف إلى أهمية التوسع في المعرفة والعلوم ضرورة أن يتوجه صاحبها بها لغايات المنفعة العامة التي يطالب بها الخالق سبحانه عباده، وإحسان استخدامها في حياته. وقد أثبتت الأيام صحة هذه النظرية لما يعانيه المجتمع المعاصر من محدودية أفق أبنائه بابتعادهم عن الثقافة الواسعة، وتركيزهم على التخصصات الضيقة، وعدم التزامهم بعلوم اللغة كما يجب.

كما أشار ابن الجوزي إلى قناعته بتداخل العلوم وتكامل المعارف في إصلاح القلوب قائلاً [12]: "رأيت الاشتغال بالفقه وسماع الحديث لا يكاد يكفي في صلاح القلب، إلا أن يمزج بالرقائق والنظر في سير السلف الصالحين؛ لأنهم تناولوا مقصود النقل، وخرجوا عن صور الأفعال المأمور بها إلى ذوق معانيها والمراد بها. ووجدت جمهور المحدثين وطلاب الحديث همة أحدهم في الحديث العالي وتكثير الأجزاء، وجمهور الفقهاء في علوم الجدل وما يغالب به الخصم ". فيتضح الهدف التربوي المبني على الأسس العلمية في منهج ابن الجوزي بتجنب الأخذ بظواهر الأشياء، والتعمق في المعرفة للوصول إلى الفهم المنطقي. فالعمل يحتاج إلى علم ليصلح، وليفيد صاحبه ومن حوله.

يقدم ابن الجوزي في هذه الخاطرة مثل كثيرين غيره من علماء الحضارة العربية الإسلامية مشاركته في البحث في ماهية العلوم، وتوضيح الهدف منها. فيقوم بتصنيف العلوم وتحديد مراتبها؛ للوصول بالدارس إلى آفاق المعرفة الواسعة مع الاهتمام بما يجب أن يبدأ به الأبناء في مراحل التعليم الأولى. وقد حفل التراث العربي بهذا مثل: كتاب "جامع بيان العلم وفضله" للإمام النمري القرطبي [13]، وكتاب العلم الذي استهل به الإمام الغزالي[14] كتابه الجامع "إحياء علوم الدين"، وفصل " أصناف العلوم الواقعة في العمران" في مقدمة ابن خلدون، ورسالة "مراتب العلوم" للإمام ابن حزم[15]. ويتفق ابن الجوزي في ترتيبه للعلوم مع ابن حزم الذي قال إن العُلوم تنقسم أقساماً سبعة عند كلِّ أمةٍ في كلِّ زمانٍ وفي كل مكان، وهي: علم شريعة كل أُمة، فلا بُد لكل أُمةٍ من مُعتقدٍ ما، إما إثبات وإما إبطال، وعلم أخبارها، وعلم لُغتها، فالأُمم تتميزُ في هذه العُلومِ الثلاثة، والعُلوم الأربعة الباقية تتفق فيها الأمم كلها، وهي علم النجوم، وعلم العدد، والطب وهو مُعاناة الأجسام، وعلم الفلسفة وهو معرفة الأشياء على ما هي عليه من حُدودها من أعلى الأجناس إلى الأشخاص. كما يُورد ابن حزم أقسام كلِّ علمٍ من هذه العُلوم فلا يبقى علمٌ خارج التصنيف. إن هذا التصنيف يساعد على تثبيت هوية الفرد في مراحله الأولى؛ حيث يبدأ من خلال المنهج الفكري الواضح بالتعرف إلى فكرة العقيدة، والتعرف إلى تراثه الثقافي والحضاري، وتعلم أصول لغته؛ لينطلق منها متوسعاً في المعرفة، ومتعلماً لغات الثقافات الأخرى. مما يجعل الفرد مدركاً لأصوله، واثقاً من نفسه، ومستوعباً للفكر المتنوع، دون الوقوع في مشكلة التبعية المطلقة لثقافات الآخرين.

تفاعل ابن الجوزي مع مجتمعه:

حفل عصر ابن الجوزي في القرن السادس الهجري بأحداث مهمة على صعيد الحضارة العربية الإسلامية على اتساعها، وعلى صعيد العراق كمركز مؤثر من مراكز هذه الحضارة. وتذكر المراجع أن صاحبنا تفاعل إيجابياً مع الخليفة المستضيء بنور الله[16]، وحظي بمكانة عالية في عهده، ومجَّده بتأليف كتاب "المصباح المضيء في دولة المستضيء " بعد أن أعاد صلاح الدين الأيوبي الخطبة للعباسيين بالقاهرة في بداية عام 567هـ. كما تفاعل إيجابياً مع الخليفة الناصر

لدين الله [17] الذي سيطر، واستقل بأمور الملك في العراق مع امتداد فترة حكمه، وبسط العدل، وأمر بإراقة الخمور، وإغلاق الملاهي، فاحترمه الناس وأقبلوا على بغداد في عهده.

ويؤرخ ابن الجوزي في نتاجه الفكري الغزير لفترة حفلت بمختلف التيارات والاتجاهات الفكرية التي أثرت الفكر العربي والإسلامي[18]. وقد تميز بين معاصريه بكثرة تصانيفه التي وصل عددها إلى ثلاثمئة مصنف [19]. وهذه بعض العناوين التي تبرز تنوع الموضوعات التي ألَّف فيها؛ ما بين الفقه والتفسير مثل:" زاد المسير في علم التفسير"، و" فنون الأفنان في عيون علوم القرآن"، وفي الحديث مثل:" الناسخ والمنسوخ"، و" أسماء الضعفاء والواضعين في رجال الحديث"، وفي التاريخ مثل كتابه:" شذور العقود في تاريخ العهود"، و"المنتظم في تاريخ الملوك والأمم"، وفي الأخبار مثل كتابه:" تلقيح مفهوم أهل الآثار في مختصر السير والأخبار"، وفي الوعظ مثل كتابه:"المدهش"، و"الياقوتة"، وفي اللغة مثل كتابه:" المقيم المقعد"، و" تقويم اللسان"، وفي الأدب مثل كتابه: " ذم الهوى"، و"الأذكياء وأخبارهم"، و"الحمقَى والمُغفلين"، وفي سير الأعلام مثل كتابه:" مناقب عمر ابن الخطاب"، و"مناقب أحمد بن حنبل"، وفي الجغرافيا مثل كتابه:" تبصرة الأخيار" في نيل مصر وأنهارها، و" مناقب بغداد"، و" مثير عزم الساكن إلى أشرف الأماكن" في تاريخ مكة والمدينة، و" فضائل القدس". حتى أن الحافظ الذهبي قال إنه لم يعلم أحداً من العلماء صنَّف ما صنَّف هذا الرجل![20]. وقال ابن البزوري: " ولم يترك ابن الجوزي فناً من الفنون إلا وله فيه مصنف، كان أوحد زمانه، وما أظن الزمان يسمح بمثله "[21]. إلا أن هناك تبايناً في آراء النقاد حول تقييم إنتاجه مع هذا التنوع في الكتابة والتأليف، فقيل إنه كان متميزاً في التفسير والوعظ والتاريخ، ومتوسطاً في المذهب، وله في الحديث اطلاع تام على متونه، "أما الكلام على صحيحه وسقيمه فما له فيه ذوق المحدثين ولا نقد الحفاظ المبرزين." [22]. ووصفه ابن كثير قائلاً [23]:" وكان فيه بهاء وترفع وإعجاب بنفسه وسمو بها أكثر من مقامها، وذلك ظاهر في كلامه ونثره ونظمه، فمن ذلك قوله:

ما زلت أدرك ما غلا بل ما علا
وأكابد النهج العسير الأطولا
تجري بي الآمال في حلباته
جري السعيد إلى مدى ما أملا
أفضى من التوفيق فيه إلى الذي
أعيا سواي توصلاً وتغلغلا
لو كان هذا العلم شخصاً ناطقاً
وسألته هل زار مثلي؟ قال: لا! "

فغالبية الوعاظ يتبوؤون رتباً عالية في مجتمعاتهم، وينظرون إلى أنفسهم نظرة إعجاب وتقدير، متأثرين بإقبال الأعداد الكبيرة من أبناء مجتمعهم إلى سماعهم، والأخذ عنهم.

كتاب صيد الخاطر

هدف ابن الجوزي من دراسة صيد الخاطر:

لقد قام أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي بعمل تربوي في كتابه صيد الخاطر [24] حيث تناول أهم الظواهر الاجتماعية والاقتصادية والفكرية والفلسفية في مجتمعه، وعبَّر عنها من خلال دراستها وتحليلها، والتركيز على إيجابياتها وسلبياتها، بهدف معالجتها بعد مناقشتها وتداولها. وكان في هذا بانياً على خبرته العميقة كإمام لعصره، وواعظ ناجح على امتداد حياته[25]. فتناول مثلاً: أهمية العلم النافع، والحث على العمل المنتج، وكسب الرزق، وكفاية النفس حاجاتها، والاستفادة من الوقت، وفهم الدين الفهم الصحيح، وعدم اتباع المفاهيم الخاطئة المؤثرة سلباً في تقدم المجتمع، والحفاظ على العلاقة بين الرجل والمرأة في أفضل صورها، وفهم الغرائز الإنسانية فهماً منطقياً للابتعاد عن غلبة الشهوات، وضياع القيم وما ينتج عنه من خراب المجتمع.

فاشتمل الكتاب على موضوعات متنوعة تفيد القارئ، وتعلي من شأن الإنسان وتميزه العقلي، كما نقل صورة حيوية عن مجتمعه تبرز أهم الحقائق الإنسانية المتكررة في كل زمان ومكان. وعرض مادته الغزيرة بلغة سهلة متداولة بين العامة في عصره، وببلاغة أدبية يطرب لها السامع مع كثرة الاستشهاد بالشعر والأحاديث النبوية الشريفة.

ولأن حلقات الوصل بين الأزمنة المتباينة متتالية، فيشهد زمان ما أحداثاً مشابهة أحياناً لأزمنة سابقة، كما تدور الحياة الإنسانية دوراتها المتتالية ليستفيد جيل من أجيال مضت. ومن هذا المنطلق تأتي دراسة كتاب صيد الخاطر الذي تم تأليفه في القرن السادس الهجري، والاستفادة منه في القرن الخامس عشر الهجري، وتمثل ما فيه مع حوادث هذا الزمان.

تأليف الكتاب:

وضَّح المؤلف في مقدمته سبب تأليفه الكتاب؛ حيث عاش في زمن حافل بالتغييرات الفكرية والاجتماعية والاقتصادية، وعاصر أحداثاً تاريخية فاصلة ما بين قيادة صلاح الدين الأيوبي للدولة الإسلامية، ومواجهة الهجمات الصليبية من الغرب، والتتارمن الشرق. فأراد أن يعكس واقعها على مجتمعه، فقال[26] " تأملت الأرض ومن عليها بعين فكري، فرأيت خرابها أكثر من عمرانها، ثم نظرت في المعمور منها فوجدت الكفار مستولين على أكثره، ووجدت أهل الإسلام في الأرض قليلاً بالإضافة إلى الكفار". أي أن الأحوال الاجتماعية، والطقوس

المنتشرة التي كانت بعيدة إلى حد كبير عن فهم الدين بشكل صحيح مع سيطرة مفاهيم العامة، وسيطرة الجهل على العلم، وانتشار عادات بعيدة عن جوهر الإيمان هي الدوافع الرئيسية وراء تسجيل هذه الخواطر، مع إحساسه كواعظ بالمسؤولية. فأراد تنبيه الناس إلى خطورة الحال بأسلوب يشدهم.

ويتابع ابن الجوزي تحليله للوضع السياسي وتأثيره على الوضع الاجتماعي قائلاً " فالسلطان مشغول بالأمر والنهي واللذات العارضة له، ولا يتلقاه أحد بموعظة بل بالمدحة التي تقوي عنده هوى النفس! وإنما ينبغي أن تقاوم الأمراض بأضدادها. فأحوج الخلق إلى النصائح والمواعظ السلطان. إلا أن الله لا يخلي الأرض من قائم له بالحجة، جامع بين العلم والعمل، عارف بحقوق الله – تعالى –، خائف منه، فذلك قطب الدنيا، ومتى مات أخلف الله عوضه. ومثل هذا لا تخلو الأرض منه، فهو بمقام النبي في الأمة". أي أن ابن الجوزي وضع نفسه في ذلك المقام[27]، آخذاً بالحديث النبوي الشريف أن الله يبعث على رأس كل مئة عام من يجدد للأمة دينها ويصلح أمورها. وهذا من شيم الوعاظ والفقهاء؛ حيث ينظرون إلى أنفسهم نظرة تسمو على العامة في مجتمعهم مقتنعين بأهمية أدوارهم في إنقاذ ما يمكن إنقاذه. فإلى أي مدى يعكس تنظيرهم دورهم الإصلاحي أخلاقياً واقتصادياً واجتماعياً؟

فلسفة عنوان الكتاب:

يشد ابن الجوزي قارئ صيد الخاطر من اللحظة الأولى بمقدمته القصيرة المركزة التي ضمنها التفسير المنطقي واللغوي لاختياره هذا العنوان مظهراً بلاغته الأدبية حيث قال:[28] " لما كانت الخواطر تجول في تصفح أشياء تعرض لها، ثم تُعرض عنها فتذهب، كان من أولى الأمور حفظ ما يخطر لكيلا يُنسَى. وقد قال – عليه الصلاة والسلام –:" قيّدوا العلم بالكتابة "، وكم قد خطر لي شيء، فأتشاغل عن إثباته فيذهب، فأتأسف عليه. ورأيت من نفسي أنني كلما فتحت بصر التفكر، سنح له من عجائب الغيب ما لم يكن في حساب، فانثال عليه من كثيب التفهيم ما لا يجوز التفريط فيه، فجعلت هذا الكتاب قيداً لصيد الخاطر". فتبرز المقدمة ثقة المؤلف بقدراته مفكراً ومفسراً ومحللاً، وتوضح دوره الاجتماعي المؤثر مع اهتمامه بتسجيل خواطره القيمة، وعدم الاستهانة بضياع أي منها. ولأن الخاطرة فكرة تمر على الذهن بسرعة، وتتميز بصغرها وقصرها، فقد أحسن ابن الجوزي اختيار الأسلوب المباشر الذي يشد من يقرؤه ومن يسمعه، موضحاً الفكرة المراد توصيلها من خلال فقرات قصيرة، ومقدماً فيها أحكامه ودروسه.

فيناقش ابن الجوزي تجاوزات العامة المنتشرة في مجتمعه مستشهداً بأمثلة واقعية من بيئته، ومحللاً الوضع العام بلغة واضحة، وباستدلال عقلي يساعد على إقناع السامع، واضعاً نصب عينيه الفكرة المباشرة التي تتناسب مع الخاطرة: [29] " فهذه جملة لو شرحتها بذكر الأخبار والمنقولات لطالت، غير أني سطرتها على عجل حين جالت في خاطري، والله ولي النفع برحمته". ومعلوم أنه من بين فوائد كتابة الخواطر ما تكشفه من خبايا النفس الداخلية، والتي هي من بين نتاج تراكمات التفاعل مع العوامل الخارجية. لذلك تساعد قراءة الخواطر في فهم الظروف المحيطة بكاتبها، وانعكاس مجتمعه عليه. فيتمثل القارئ الأحوال السياسية التي زامنت كتابته، والوضع الاجتماعي الذي عايشه المؤلف. ومن خلال تحليلات تلك المواقف المتنوعة في المجتمع، وتفاعل الناس معها، تبرز قيمة أفكاره وخواطره. لقد أثبت أدب الخواطر دوره في دراسة المجتمعات، وفهم ما أحاط بها. كما برز دوره المساعد بالتخفيف عن الضغوط الفردية في المجتمع من خلال فن كتابة المقالات الصحفية القصيرة، والأعمدة التي يعبر فيها الكاتب عما يجول في نفسه بمعايشته لظروف يعيشها أبناء بيئته معه. فيستمتع بها القراء لما تضفيه عليهم من راحة، وكأنهم عبروا بأنفسهم عما يشغلهم.

موضوع صيد الخاطر

تأمل النفس البشرية:

ومن الأفكار العميقة التي قربها ابن الجوزي وبسطها في خواطره حديثه عن تعلق النفس البشرية بالحياة الدنيا، وعملية التجاذب بينهما، فيقول:[30] " جواذب الطبع إلى الدنيا كثيرة، ثم هي من داخل، وذكر الآخرة أمر خارج عن الطبع، من خارج. وربما ظن من لا علم له أن جواذب الآخرة أقوى، لما يسمع من الوعيد في القرآن، وليس كذلك لأن مثل الطبع في ميله إلى الدنيا كالماء الجاري فإنه يطلب الهبوط، وإنما رفعه إلى فوق يحتاج إلى التكلف. ولهذا أجاب معاون الشرع: بالترغيب والترهيب يقوى جند العقل. فأما الطبع فجواذبه كثيرة، وليس العجب أن يَغلِبَ، إنما العجب أن يُغلب". تفسير علمي دقيق يوضح تعلق الإنسان بالحياة، وانسياقه وراء أهوائه فيها، ويعلل صعوبة الوصول إلى العلا. وهو تفسير ينطبق على النفس البشرية في كل زمان ومكان. وهذه إحدى أبرز مشاكل المجتمعات؛ حيث ينساق العامة غالباً وراء الغرائز البشرية، ويحتاجون لرادع يُذكِّرهم، ويُنبههم لأهمية تحكيم العقل قبل الوقوع في الخطأ.

التعفف والصبر:

وفي تأملاته يدعو ابن الجوزي إلى التعفف والصبر قائلاً[31]: "قدرت في بعض الأيام على شهوة للنفس هي عندها أحلى من الماء الزلال في فم الصادي. وقال التأويل: ما ههنا

مانع ولا معوق إلا نوع ورع. وكان ظاهر الأمر امتناع الجواز، فترددت بين الأمرين، فمنعت النفس عن ذلك.. فبقيت حيرتي لمنع ما هو الغاية في غرضها من غير صاد عنه بحال إلا حذر المنع الشرعي. فقلت لها: يا نفس – والله – ما من سبيل إلى ما تودين ولا ما دونه!! فتقلقلت، فصحت بها: كم وافقتك في مراد ذهبت لذته وبقي التأسف على فعله! فقدري بلوغ الغرض من هذا المراد، أليس الندم يبقى في مجال اللذة أضعاف زمانها ؟! فافتخري أيتها النفس بتوفيق من وفقك، فكم قد خذل سواك! وكان هذا في سنة إحدى وستين وخمسمائة، فلما دخلت سنة خمسة وستينن عوضت خيراً من ذلك بما لا يقارب مما لا يمنع منه ورع ولا غيره. فقلت: هذا جزاء الترك لأجل الله – سبحانه – في الدنيا، ولأجر الآخرة خير – والحمد لله –". إن لجوء الكاتب لضرب أمثلة واقعية؛ يزيد في جذب انتباه القارئ. واستشهاده في هذه الخاطرة مع تحديد تاريخ الحدث يعكس تأثير الجانب القصصي في الوعظ.

كشف خبايا النفس:

أفاض ابن الجوزي في حديثه عن مكنونات النفس البشرية في صيد الخاطر، وتناولها من كل الزوايا عارضاً وكاشفاً لما يشغل العامة في حياتهم اليومية، وما يؤثر في مسالكهم وتعاملهم مع غيرهم، وهي أمور تهم وتحدث مع البشر جميعاً فتفيد من يقرؤها بقياسها على نفسه ومن حوله، فيقول في سياسة النفس[32]:" أعجب الأشياء مجاهدة النفس، لأنها تحتاج إلى صناعة عجيبة. فإن أقواماً أطلقوها فيما تحب، فأوقعتهم فيما كرهوا. وإن أقواماً بالغوا في خلافها حتى منعوها حقها وظلموها، وأثر ظلمهم لها في تعبداتهم، فمنهم من أساء غذاءها فأثر ذلك ضعف بدنها عن إقامة واجبها. وإنما الحازم من تعلم منه نفسه الجد وحفظ الأصول. فإذا فسح لها في مباح لم تتجاسر أن تتعداه. فيكون معها كالملك إذا مازح بعض جنده، فإنه لا ينبسط إليه الغلام... فإن انبسط ذكر هيبة المملكة. فكذلك المحقق يعطيها حظها ويستوفي منها ما عليها." أي أنه أظهر صعوبة الأمر، ثم شرحه بأسلوب قريب، وساعد بتجسيده في استيعابه.

وينبه صاحبنا إلى تجنب الوقوع في الأخطاء من خلال تحليل طبيعة البشر قائلاً [33]: هو أن الناس عند مواقعة المحظور ينقسمون؛ فمنهم جاهل بالمحظور أنه محظور، فهذا له نوع عذر. ومنهم من يظن المحظور مكروهاً لا محرماً، فهذا قريب من الأول. ومنهم من يتأول فيغلط كما يقال: إن آدم – عليه الصلاة والسلام – نُهي عن الشجرة بعينها، فأكل من جنسها لا عينها. ومنهم من يعلم التحريم غير أن غلبات الشهوة أنسته تذكر ذاك، فشغله ما رأى عما يعلم ". وهذا تحليل دقيق لما يحدث بعامة.

ثم يتناول حيرة الإنسان بين المتعة والخوف قائلاً [34]: رأيت النفس تنظر إلى لذات أرباب الدنيا العاجلة وتنسى كيف حصلت وما يتضمنها من الآفات. * إن الإنسان لا يكاد يجتمع له كل ما يحبه إلا عند قرب رحيله، فإن بدر ما يحب في بداية شبابه فالصبوة مانعة من فهم التدابير أو حسن الالتذاذ. فعليك بالقناعة مهما أمكن، ففيها سلامة الدنيا والدين. وقد قيل لبعض الزهاد وعنده خبز يابس، كيف تشتهي هذا !! فقال: أتركه حتى أشتهيه...." إن الإنسان بحاجة إلى تذكيره بمثل هذه الحقائق دائماً. وكم يحسن تعليمه إياها في مراحل شبابه، وتفتحه على الدنيا؛ ليتجنب قدر المستطاع الوقوع في المحظورات، وليستمتع بما يحدث معه راضياً، ومقتنعاً بمواجهة الحياة كما يجب، دون استحواذ مشاعر النقمة على الأوضاع.

الفكر المنطقي العلمي:

وكان ابن الجوزي حريصاً على مخاطبة العقل بالمنطق، وهذا مثال في عرضه للتسليم للحكمة العليا [35] :" تأملت حالاً عجيبة وهي أن الله – سبحانه وتعالى – قد بنَى هذه الأجسام متقنة على قانون الحكمة، فدل بذلك المصنوع على كمال قدرته ولطيف حكمته. ثم عاد فنقضها، فتحيرت العقول بعد إذعانها له بالحكمة في سر ذلك الفعل. فأعلمت أنها ستعاد للمعاد، وأن هذه البنية لم تخلق إلا لتجوز في مجاز المعرفة، وتتجر في موسم المعاملة فسكنت العقول لذلك. ثم رأت أشياء من هذا الجنس أظرف منه، مثل اخترام شاب ما بلغ بعض المقصود بنيانه. وأعجب من ذلك أخذ طفل من أكف أبويه يتململان، ولا يظهر سر سلبه، والله الغني عن أخذه، وهما أشد الخلق فقراً إلى بقائه. وأظرف منه إبقاء هرم لا يدري معنى البقاء، وليس له فيه إلا مجرد أذى. ومن هذا الجنس تقتير الرزق على المؤمن الحكيم، وتوسعته على الكافر الأحمق. وفي نظائر لهذه المذكورات يتحير العقل في تعليلها فيبقى مبهوتاً. فلم أزل أتلمح جملة التكاليف فإذا عجزت قوى العقل عن الاطلاع على حكمة ذلك وقد ثبت لها حكمة الفاعل، علمت قصورها عن درك جميع المطلوب فأذعنت مقرة بالعجز. وبذلك تؤدي مفروض تكليفها. فلو قيل للعقل: قد ثبت عندك حكمة الخالق بما بنى، أفيجوز أن ينقدح في حكمته أنه نقض؟ لقال: لأني عرفت بالبرهان أنه حكيم، وأنا أعجز عن إدراك علله فأسلم على رغمي مقراً بعجزي". وهذه أعلى درجات الإيمان مع تسليم العبد للخالق في الأمور التي لا يستوعبها العقل.

وها هو يجري حواراً فلسفياً مع النفس حول جهاد الهوى قائلاً [36]: " رأيت ميل النفس إلى الشهوات زائداً في المقدار حتى إنها إذا مالت مالت بالقلب والعقل والذهن، فلا يكاد المرء

ينتفع بشيء من النصح! فصحتُ بها يوماً وقد مالت بكليتها إلى شهوة: ويحك! قفي لحظة أكلمك كلمات ثم افعلي ما بدا لك.. قالت: قل أسمع. قلتُ: قد تقرر قلة ميلك إلى المباحات من الشهوات، وأما جُل ميلك فإلى المحرمات! وأنا أكشف لك عن الأمرين؛ فربما رأيت الحلوين مرين، وفي قوة قهر الهوى لذة تزيد على كل لذة، ألا ترين إلى كل مغلوب بالهوى كيف يكون ذليلاً لأنه قُهِر! بخلاف غالب الهوى فإنه يكون قوي القلب عزيزاً لأنه قَهَر. فالحذر الحذر من رؤية المشتهى بعين الحسن، كما يرى اللص لذة أخذ المال من الحرز، ولا يرى بعين فكرة القطع. وليفتح عين البصيرة لتأمل العواقب واستحالة اللذة نغصة، وانقلابها عن كونها لذة، إما لملل أو لغيره من الآفات، أو لانقطاعها بامتناع الحبيب. فتكون المعصية الأولى كلقمة تناولها جائع فما ردت كلب الجوع بل شهت الطعام. وليتذكر الإنسان لذة قهر الهوى مع تأمل فوائد الصبر عنه. فمن وفق لذلك كانت سلامته قريبة منه".

علاقة المعبود بالخالق:

ويرسم ابن الجوزي صورة بليغة لعلاقة المعبود بالخالق، مبرزاً حقيقة تفضيل الإنسان على الملائكة وتمييزه على بقية الكائنات بالعقل والعلم. ويبين وصوله إلى درجة المحبة من خلال النظر في الآيات القرآنية الحكيمة. فيقول في شرف البشر [37]: " ما أزال أتعجب ممن يرى تفضيل الملائكة على الأنبياء والأولياء، فإن كان التفضيل بالصور، فصورة الآدمي أعجب من ذوي أجنحة. ألهم مرتبة يحبهم أو فضيلة يباهي بهم؟ وكيف دار الأمر فقد سجدوا لنا. وهو صريح في تفضيلنا عليهم. فإن كانت الفضيلة بالعلم فقد علمت القصة يوم " لاعلم لنا "[38]، و" يا آدم أنبئهم " [39]. فاعرفوا إخواني شرف أقداركم، وصونوا جواهركم عن تدنيسها بلوم الذنوب، فأنتم معرض الفضل على الملائكة.فاحذروا أن تحطكم الذنوب إلى حضيض البهائم ". ويقول متفكراً في الله ومحبته [40]:" تأملت قوله – تعالى –:" يحبهم ويحبونه"[41]، فإذا النفس تأبى إثبات محبة للخالق توجب قلقاً وقالت: محبته طاعته، فتدبرت ذلك فإذا بها قد جهلت ذلك لغلبة الحس. وبيان هذا أن محبة الحس لا تتعدى الصور الذاتية، ومحبة العلم والعمل ترى الصور المعنوية فتحبها. فكيف بمن صنع تلك الصور المعنوية وبذلها؟ وكيف لا أحب من وهب لي ملذوذات حسي، وعرفني ملذوذات علمي؟ فإن التذاذي بالعلم وإدراك العلوم أولى من جميع اللذات الحسية، فهو الذي علمني، وخلق لي إدراكا، وهداني إلى ما أدركته. ثم إنه يتجلى لي في كل لحظة في مخلوق جديد، أراه فيه بإتقان ذلك الصنع، وحسن ذلك المصنوع ".

ويفسر منطق الجزاء قائلاً [42]: " من تأمل أفعال البارئ – سبحانه –، رآها على قانون العدل وشاهد الجزاء مرصداً ولو بعد حين. فلا ينبغي أن يغتر مُسامَح، فالجزاء قد يتأخر. وأعظم الخلق اغتراراً من أتى ما يكرهه الله، وطلب منه ما يحبه هو، كما روي في الحديث:"والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني". وبالضد من هذا، كل من عمل خيراً أو صحح نيّة، فلينتظر جزاءها الحسن، وإن امتدت المدة. قال الله – عز وجل –:" إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين"[43]. فيركز ابن الجوزي على وجوب الاستسلام التام للقوة الإلهية للوصول إلى القناعة بمنطق سير الأمور. ويلجأ للتأثير العاطفي في السامع وهي سمة واضحة عند الوعاظ والفقهاء.

ويفسر ابن الجوزي علة الإبطاء في الإجابة، وهو الأمر المحير لكثير من العامة قائلاً [44]: " رأيت من البلاء العجاب، أن المؤمن يدعو فلا يجاب، فيكرر الدعاء وتطول المدة، ولا يرى أثراً للإجابة، فينبغي له أن يعلم أن هذا من البلاء الذي احتاج إلى الصبر. وما يعرض للنفس من الوسواس في تأخير الجواب مرض يحتاج إلى طب. فقلت: قد ثبت بالبرهان أن الله – عز وجل – مالك، وللمالك التصرف بالمنع والعطاء، فلا وجه للاعتراض عليه. والثاني: أنه قد ثبتت حكمته بالأدلة القاطعة، فربما رأيت الشيء مصلحة والحق أن الحكمة لا تقتضيه! وقد يخفى وجه الحكمة فيما يفعله الطبيب من أشياء تؤذي في الظاهر يقصد بها المصلحة، فلعل هذا من ذاك. والثالث: أنه قد يكون التأخير مصلحة، والاستعجال مضرة ". وقد ذكر الخالق – سبحانه وتعالى – حب الإنسان للاستعجال في الأمور كلها في أكثر من آية؛:" ويدع الإنسان بالشر دعاءه بالخير وكان الإنسان عجولا"[45]. وقال – تعالى– : " كلا بل تحبون العاجلة"[46]. إلا أن الله – المقدم والمؤخر – خص بمحبته الصابرين من عباده،:" والله يحب الصابرين"[47]، وقال :" يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين"[48]. فشرح ابن الجوزي فكرته بمثال من الواقع الحسي، ورابطاً بين الفرد وصحته.

نقد التصوف:

يستدل قارئ صيد الخاطر على انتشار التصوف في ذلك العصر، وتأثيره سلباً في نمط الحياة العملية في المجتمع مع انسياق العامة خلف طقوس وأفكار بعيدة عن جوهر الدين، وضياع الوقت والجهد بعيداً عن طريق العلم والعمل. فقد شهد القرن السادس الهجري نضوج التصوف كحركة اجتماعية في بغداد، وكان لها أثرها في الحياة بكل مظاهرها الاجتماعية والثقافية والسياسية. وتزايد نشاطها مع بروز بعض أشهر شيوخ التصوف في تاريخ الإسلام كالشيخ عبد القادر الجيلي، والشيخ

أحمد الرفاعي، والشيخ أبو النجيب عبد القاهر السهروردي[49] وابن أخيه شهاب الدين عمر السهروردي[50]. وتطور التصوف ونشأت طرق صوفية صبغت معظم المجتمعات الإسلامية. إلا أن ابن الجوزي كان من بين الفقهاء الذين اتخذوا موقفا سلبياً بعض الشيء من التصوف؛ حرصاً على حراسة الحدود التي تتيحها صحة نقل الأحاديث ورواياتها، وحماية لنظام المجتمع وشكله العام [51]. فمع أنه مدح الإمام الغزالي[52] وقال إنه صنَّف الكتب الحسان في الأصول والفروع، وانفرد بحسن وضعها وترتيبها وتحقيق الكلام فيها، إلا أنه نقد كتاب إحياء علوم الدين، ونقد مظاهرالمتصوفين في كتابه هذا بإسهاب. إن صيد الخاطر صورة غير مباشرة لعصر الكاتب.

ويقول ابن الجوزي في حقائق الحياة بين العلم والجهل: [53] "تأملت أحوال الصوفية والزهاد، فرأيت أكثرها منحرفاً عن الشريعة بين جهل بالشرع وابتداع بالرأي، يستدلون بآيات لا يفهمون معناها وبأحاديث لها أسباب وجمهورها لا يثبت" فالبعد عن روح المعنى، والتمسك بظواهر الأمور، مما ينتج نتائج عكسية وسلبية غالباً. وهذه إحدى مشكلات العوام بتصديق أمور واتباعها دون تفكير وتأمل.

كما يعرض لشطحاتهم التي لا تتوافق مع جوهر العقيدة والفروض، قائلاً[54]: "تفكرت فرأيت أن حفظ المال من المتعين، وما يسميه جهلة المتزهدين توكلاً من إخراج ما في اليد ليس بالمشروع. فإن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال لسعد: "لأن تترك ورثتك أغنياء خير من أن تتركهم عالة يتكففون الناس". وقال سفيان الثوري: إذا حصلت قوت شهر فتعبد. وقد جاء أقوام ليس عندهم سوى الدعاوى فقالوا: هذا شك في الرازق والثقة به أولى! فإياك وإياهم. فعليك بضرورة حفظ المال والسعي للرزق." فالسعي مطلوب والتواكل مرفوض.

ويظهر دور ابن الجوزي واعظاً بتقديم الحلول للمشاكل التي يعرضها ودالاً على طريق النجاة في العلم قائلاً [55]: " وما حدث في الزهاد من هذا الفن فأمور مسروقة من الرهبانية، وأنا خائف من قوله – تعالى –: " لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا"[56]. وقد قال حكماء الطب: ينبغي أن يفسح للنفس فيما تشتهي من المطاعم، وإن كان فيه نوع ضرر؛ لأنها إنما تختار ما يلائمها، فإذا قمعها الزاهد في مثل هذا عاد على بدنه بالضرر. فنسأل الله علماً نافعاً فهو الأصل، فمتى حصل أوجب معرفة المعبود –عز وجل–، وحرك إلى خدمته بمقتضى ما شرعه وأحبه، وسلك بصاحبه طريق الإخلاص. وأصل الأصول: العلم، وأنفع العلوم النظر في سيرة الرسول – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه: "أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده"[57]. فمن خلال المنطق والعلم، والعبر المستفادة من السيرة النبوية الشريفة يسيطر ابن الجوزي على فكر مستمعيه وقرائه، ويعرض فكرته ويقنعهم بها.

الحث على العمل:

يخصص ابن الجوزي صفحات طويلة من صيد الخاطر لحث الشباب والرجال على السعي في العمل المنتج بأشكاله المختلفه، مؤكداً على أهميته مادياً ومعنوياً، ومستشهداً بالآيات والأحاديث والقصص الدالة على وجوبه. فيتحدث عن حقيقة العمل ودوافعه، ويدعو إلى العمل النافع المربح، والكافي لصاحبه.. ويتناول سلبيات ظاهرة الاعتكاف التي ينتج عنها سؤال المعونة، والتي نتجت عن انتشار الطرق الصوفية في عهده. فيوضح مفهوم الزهد ودوافعه أحياناً من طلب الشهرة الاجتماعية. ويعرض خاطرته في شكل حوار داخلي مع الشيطان [58]:" ولقد حسّن إليَّ الانقطاع عن المجالس، وقال: لا يخلو من تصنع للخلق. فقلت: أما زخرفة الألفاظ وتزويقها وإخراج المعنى من مستحسن العبارة، ففضيلة لا رذيلة. وأما أن أقصد الناس بما لا يجوز في الشرع، فمعاذ الله. ثم رأيته يريني في التزهد قطع أسباب ظاهرة الإباحة من الاكتساب. فقلت له: فإن طاب لي الزهد وتمكنت من العزلة، فنفد ما بيدي أو احتاج بعض عائلتي، ألست أعود القهقرى؟ فدعني أجمع ما يسد خلتي، ويصونني عن مسألة الناس، فإن مُدّ عُمري، كان نعم السبب، وإلا كان للعائلة. وقد قال الرسول – صلى الله عليه وسلم –: "لأن تترك ورثتك أغنياء، خير لك من أن تتركهم عالة يتكففون الناس" وقال: " نعم المال الصالح، للرجل الصالح". وإنما تميل النفس إلى ما يزخرفه الشيطان من ذلك لمعنيين؛ أحدهما: حب البطالة، لأن الانقطاع عندها أسهل. والثاني: حب المدحة فإنها إذا توسمت بالزهد كان ميل العوام إليها أكثر. فعليك بالنظر في الشرب الأول، فكن مع الشرب المقدم، وهم الرسول – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه – رضي الله تعالى عنهم –، فهل نقل عن أحد منهم ما ابتدعه جهلة المتزهدين والمتصوفة من الانقطاع عن العلم؟ والانفراد عن الخلق؟ وهل كان شغل الأنبياء إلا معاناة الخلق؟ وحثهم على الخير ونهيم عن الشر؟

ويربط بين العلم والعمل قائلاً[59]: " فكلما جد العباد في العبادة وصاح بهم لسان الحال: عباداتكم لا يتعداكم نفعها، وإنما يتعدى نفع العلماء وهم ورثة الأنبياء وخلفاء الله في الأرض هم الذين عليهم المعول ولهم الفضل. وإذا رأى العلماء أن لهم بالعلم فضلاً، صاح لسان الحال بالعلماء: وهل المراد من العلم إلا العمل؟! وقالت أم الدرداء لرجل: هل عملت بما علمت؟ قال: لا، قالت: فلم تستكثر من حجة الله عليك؟ وقال أبو الدرداء: ويل لمن يعلم ولم يعمل مرة، وويل لمن علم ولم

يعمل سبعين مرة. فما يبلغ من الكل قوله تعالى: " هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون"[60].

التكامل بين الرجل والمرأة:

اهتم ابن الجوزي الفقيه المحدث بشرح كثير من الأمور التي تهم العامة والخاصة، والتي تتعلق بقضايا المجتمع. فالاهتمام بالدراسات الفقهية في صميمه اهتمام بالعلاقات الاجتماعية، وما يترتب عليها من حلال ومباح ومحظور. وأفاض ابن الجوزي في الحديث في العلاقة الخالدة بين الرجل والمرأة مؤدياً دوره في الكشف عن النوازع الإنسانية، وما ينبغي أن تحاط به تلك العلاقة لتسير وفق السبل المقبولة في الشرع والمجتمع. علماً بأن لغة علم الفقه ومجالات اختصاصه تبيح التصريح بالألفاظ وشرح الحالات مما لا يستباح إلا في علم الطب. فمن الضروري أن يقول الفقيه رأي الشرع بوضوح في حديثه للعامة فيما يتعلق بقضايا الغرائز البشرية والمباح وغير المباح.

فعرض ابن الجوزي في خواطره لمكانة المرأة في حياة الرجل، ولعاطفة العشق وأهميته في التزاوج قائلاً [61]: " تأملت في فوائد النكاح ومعانيه وموضوعه، فرأيت أن الأصل الأكبر في وضعه وجود النسل، وتخير المنكوح". واستشهد بأقوال الحكماء في العشق: "العشق العمى عن عيوب المحبوب، فمن تأمل عيوبه سلا. ولذلك يستحب للمرأة أن لا تبعد عن زوجها بعداً تنسيه إياها، ولا تقرب منه قرباً يملها معه، وكذلك يستحب ذلك له، لئلا يملها أو تظهر لديه مكنونات عيوبها. إلى غير ذلك من الخصال التي تستعملها النساء الحكيمات، فإنهن يعلمن ذلك بفطرهن من غير احتياج إلى تعليم.. فأما الجاهلات فإنهن لا ينظرن في هذا فيتعجل التفات الأزواج عنهن". وهذا تفسير فيه شيء من الحكمة ويعلل ارتفاع نسب الخلافات بين الأزواج وما يترتب عليها من مشكلات اجتماعية تنتشر في كل زمان ومكان.

وتابع ابن الجوزي نصيحته في الزواج قائلاً:" فمن أراد نجابة الولد وقضاء الوطر فليتخير المنكوح، إن كان زوجة فلينظر إليها، فإذا وقعت في نفسه فليتزوجها، ولينظر في كيفية وقوعها في نفسه، فإن علامة تعلق حبها بالقلب ألا يصرف الطرف عنها، فإذا انصرف الطرف قلق القلب بتقاضي النظرة، فهذا الغاية. حدثنا عطاء الخراساني قال: مكتوب في التوراة كل تزويج على غير هوى حسرة وندامة إلى يوم القيامة "[62].

ويقول في حقيقة العشق [63]: " نظرت فيما تكلم به الحكماء في العشق وأسبابه وأدويته، وصنفت في ذلك كتاباً سميته بذم الهوى، وذكرت فيه عن الحكماء أنهم قالوا: سبب العشق حركة نفس فارغة، وأنهم اختلفوا، فقال قوم منهم: لا يعرض العشق إلا لظراف الناس. وقال آخرون: بل لأهل الغفلة منهم عن تأمل الحقائق.. إلا أنه خطر لي بعد ذلك معنى عجيب أشرحه ههنا: .... على قدر النظر في العواقب يخف العشق عن قلب العاشق، وعلى قدر جمود الذهن يقوى القلق، قال المتنبي:

لو فكر العاشق في مُنتهَى

حُسن الذي يسبيهِ لم يَسْبه "

وقد ألف ابن الجوزي مثل عدد من الفقهاء والشيوخ الذين كتبوا في العشق في الحضارة العربية الإسلامية كتابه ذم الهوى في فن الحب وأخلاق المحبين وما التزموا به من عفاف، وضمنه دراسة لعلم الحب وأسبابه وأطواره. وذكر فيه أخبار العشاق، وشهداء الغرام، وليس كما يبدو من عنوانه أنه كتاب في الأخلاق والنصائح الدينية وبيان عيوب الهوى ومساوئه[64].

فهم الغرائز:

كما تناول ابن الجوزي في خواطر مستفيضة طبيعة الغرائز الإنسانية منبهاً ومحذراً من الشهوات المهلكة [65]: " تأملت في شهوات الدنيا فرأيتها مصائد هلاك وفخوخ تلف. فمن قوي عقله على طبعه وحكم عليه يسلم، ومن غلب طبعه فيا سرعة هلكته. ولقد رأيت بعض أبناء الدنيا كان يتوق في التسري ثم يستعمل الحرارات المهيجة للباه، فما لبث أن انحلت حرارته الغريزية وتلف. ولم أر في شهوات النفس أسرع هلاكاً من هذه الشهوة، فإنه كلما مال الإنسان إلى شخص مستحسن أوجب ذلك حركة الباه زائداً عن العادة. وإذا رأى أحسن منه زادت الحركة وكثر خروج المني زائداً عن الأول، فيفنى جوهر الحياة أسرع شيء. والدنيا مفازة فينبغي أن يكون السابق فيها العقل، فمن سلم زمام راحلته إلى طبعه وهواه، فيا عجلة تلفه. هذا فيما يتعلق بالبدن والدنيا، فقس عليه أمر الآخرة، فافهم ". لقد أفاض الكاتب في شرح فكرته بأسلوب علمي طبي ليسهل على من يسمعه، ويقرأ له من الشباب استيعاب المضمون، والاستفادة من النصيحة.

وجاء في شرحه لأسرار الغرائز [66]: " لما كان بدن الآدمي لا يقوم إلا باجتلاب المصالح ودفع المؤذي، ركب فيه الهوى ليكون سبباً لجلب النافع. ولولا الهوى في المطعم، ما تناول الطعام! فلم يقم بدنه فجعل له إليه ميل وتوق. فإذا حصل له قدر ما يقيم بدنه زال التوق، وكذلك في المشرب والملبس والمنكح. وفائدة المنكح من وجهين؛ أحدهما: إبقاء الجنس وهو معظم المقصود. والثاني: دفع الفضلة المحتقنة المؤذي احتقانها. فأما العارفون فإنهم فهموا المقصود، وأما الجاهلون فإنهم مالوا مع الشهوة والهوى، ولم يفهموا مقصود وضعها فضاع زمانهم فيما لا طائل فيه، وفاتهم ما خلقوا لأجله،

وأخرجهم هواهم إلى فساد المال وذهاب العرض والدين، ثم أداهم إلى التلف ".

وهذه خاطرته في قمع الشهوة(67): " تأملت أمراً عجيباً، وأصلاً ظريفاً، وهو انهيال الابتلاء على المؤمن، وعرض صورة اللذات عليه مع قدرته على نيلها، وخصوصاً ما كان في غير كلفة من تحصيله، كمحبوب موافق في خلوة حصينة.. فقلت: سبحان الله ههنا بين أثر الإيمان لا في صلاة ركعتين..فتيقظوا إخواني لعرض المشتهيات على النفوس، واستوثقوا من لجم الخيل."

ويفسر غلبة الشهوة في تأملاته قائلاً (68): "تأملت وقوع المعاصي من العصاة فوجدتهم لا يقصدون العصيان، وإنما يقصدون موافقة هواهم فوقع العصيان تبعاً، فنظرت في سبب ذلك الإقدام مع العلم بوقوع المخالفة فإذا به ملاحظتهم لكرم الخالق وفضله الزاخر. ولو أنهم تأملوا عظمته وهيبته ما انبسطت كف بمخالفته. فإنه ينبغي – والله – أن يحذر ممن أقل فعله تعميم الخلق بالموت، حتى إلقاء الحيوان البهيم للذبح، وتعذيب الأطفال بالمرض، وفقر العالم، وغنى الجاهل ... فليعرض المقدم على الذنوب على نفسه الحذر ممن هذه صفته. فقد قال الله – تعالى –: " ويحذركم الله نفسه "(69).

ويدعو ابن الجوزي إلى العمل مستحضراً القول المأثور "اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً". فيقول في التلطف مع النفس(70):"اعلم أن أصلح الأمور الاعتدال في كل شيء، وإذا رأينا أرباب الدنيا قد غلبت آمالهم، وفسدت في الخير أعمالهم، أمرناهم بذكر الموت والقبور والآخرة. فأما إذا كان العالم لا يغيب عن ذكره الموت، وأحاديث الآخرة تقرأ عليه وتجري على لسانه، فتذكاره الموت زيادة على ذلك لا تفيد إلا انقطاعه بالمرة. بل ينبغي لهذا العالم الشديد الخوف من الله – تعالى – الكثير الذكر للآخرة أن يشاغل نفسه عن ذكر الموت ليمتد نفس أمله قليلاً، فيصنف ويعمل أعمال خير، ويقدر على طلب الولد. فأما إذا لهج بذكر الموت كانت مفسدته عليه أكثر من مصلحته(71). ألم تسمع أن النبي صلى الله عليه وسلم سابق عائشة رضي الله عنها فسبقته وسابقها فسبقها، وكان يمزح ويشاغل نفسه.

الخصائص الفنية

تكرار الفكرة:

يلبس الواعظ ثوب المعلم، ويلجأ إلى تكرار الفكرة وتناولها من منظور مختلف. وهذا من أبرز سمات منهج المعلمين والمؤدبين، لذلك يميل المؤلف إليه. فها هو يدعو إلى علو الهمة في فصل آخر قائلا (72): " من علامة كمال العقل علو الهمة، والراضي بالدون دنيء"! ويستشهد بالشعر داعماً فكرته:

ولم أر في عيوب الناس شيئاً
كنقص القادمين على التمام "(73)

ويستشهد ابن الجوزي بنفسه قائلا:" ونظرت إلى علو همتي فرأيتها عجبا. وذلك أنني أروم من العلم ما أتيقن أني لا أصل إليه؛ لأنني أحب نيل كل العلوم على اختلاف فنونها". فيا لها من فكرة حافزة للشباب؛ لطلب العلا، وبذل الجهد اللازم لتحقيق الأماني.

وفي موعظة لاحقة يتابع فكرته عن الإنسان عامة قائلاً:(74) "ما ابتلي الإنسان قط بأعظم من علو همته، فإن من علت همته يختار المعالي، وربما لا يساعد الزمان، وقد تضعف الآلة فيبقَى في عذاب، وإني أُعطيت من علو الهمة طرفاً فأنا به في عذاب، ولا أقول ليته لم يكن؛ فإنه إنما يحلو العيش بقدر عدم العقل، والعاقل لا يختار زيادة اللذة بنقصان العقل".

ويبرز ابن الجوزي كثيراً بشخصية المؤدب مع تناوله أبسط القضايا الإنسانية مذكراً بأهميتهما مثل النظافة الشخصية وجمال الهيئة، قائلاً (75): " تلمحت على خلق كثير من الناس إهمال أبدانهم، فمنهم من لا ينظف فمه بالخلال بعد الأكل! ومنهم من لا ينقي يديه في غسلها من الزهم! ومنهم من لا يكاد يستاك! وفيهم من لا يكتحل! وفيهم من لا يراعي الإبط! إلى غير ذلك ... فيعود هذا الإهمال بالخلل في الدين والدنيا. أما الدين إنه قد أمر المؤمن بالتنظف والاغتسال للجمعة لأجل اجتماعه بالناس، ونهى عن دخول المسجد إذا أكل الثوم، وأمر الشرع بتنقية البراجم، وقص الأظافر، والسواك، والاستحداد، وغير ذلك من الآداب. والغفلة التي أوجبت إهمالهم أنفسهم، أوجبت جهلهم بالأذى الحادث عنهم. ثم يوجب مثل هذا نفور المرأة، وقد لا تستحسن ذكر ذلك للرجل، فيثمر ذلك التفاتها عنه. وقد كان ابن عباس – رضي الله عنهما – يقول: إني لأحب أن أتزين للمرأة، كما أحب أن تتزين لي". فالواعظ يتناول موضوعات خاصة يتمثلها كل من يسمعه، ويربطها بحياته الشخصية. وإن كانت موضوعات تبدو فردية إلا أن تأثيرها كبير في الحياة الاجتماعية.

كما تناول قضايا أكثر عمقاً مثل حديثه عن حيرة العالم في نظرته للدور الذي يقوم به معكوساً على ذاته ومجتمعه، والغاية المرجوة منه في التوجيه للعقيدة قائلاً (76):" ثم إن العلم دلني على معرفة المعبود، وحثني على خدمته، فعرفت الله بألطافه فهمت في محبته، وصار يملكني أمر كالوجد كلما ذكرته. وصار يملكني أمر كالوجد كلما ذكرته، فعادت خلوتي في خدمتي له أحلى عندي من كل حلاوة. فكلما ملت إلى الانقطاع عن الشواغل إلى الخلوة، صاح بي العلم: أين

تمضي؟ أتعرض عني وأنا سبب معرفتك به! فأقول له: إنما كنت دليلاً وبعد الوصول يستغنى عن الدليل. قال: هيهات! كلما زدت زادت معرفتك بمحبوبك وفهمت كيف القرب منه. ودليل هذا أنك تعلم غداً أنك اليوم في نقصان، أو ما تسمعه يقول لنبيه – صلى الله عليه وسلم –:" وقل ربّ زدني علماً"[77]. إن لغة الحوار واستخدام هذه التشبيهات المجازية يساعد في تقريب الفكرة للعامة.

السرد:

حلل ابن الجوزي النفس البشرية من الفصل الأول شارحاً تأثير الوعظ في الناس، وعاكساً تفاعل السامع مع الموعظة التي يتلقاها[78]. وتميز أسلوبه الكتابي بالتسلسل المنطقي، وباختياراته اللغوية اللطيفة. وقد افتتح صيد الخاطر بالحديث عن أهمية الزمن قائلاً: [79] " فإذا علم الإنسان – وإن بالغ في الجد – بأن الموت يقطعه عن العمل، عمل في حياته ما يدوم له أجره بعد موته. فإن كان له شيء من الدنيا، وقف وقفاً، وغرس غرساً، وأجرى نهراً، ويسعى في تحصيل ذرية تذكر الله بعده، فيكون الأجر له. أو أن يصنف كتاباً من العلم، فإن تصنيف العالم ولده المخلد. وأن يكون عاملاً بالخير، عالماً فيه، فينقل من فعله ما يقتدي الغير به، فذلك الذي لم يمت. قد مات قوم وهم في الناس أحياء "[80]. وهذا ما تحقق لابن الجوزي؛ حيث خُلِّد في الثقافة العربية الإسلامية بمؤلفاته الهائلة، وبتصانيفه المتنوعة، وتظهر الحاجة دائماً للاسترشاد بكتبه كمرجع أساسي في التعامل مع النفس الإنسانية، وإبراز قوى العقل على قوة الغرائز، وتقدير قيمة العلوم والمعرفة.

الحوار:

كما اختار ابن الجوزي أسلوب الحوار مع الذات حيناً ومع الآخر حيناً، حيث يتناول الفكرة ويعرضها في أشكال متعددة؛ متمثلاً موقعه إماماً حيناً وأستاذاً في حلقة حيناً آخر، فيكتب فكرته وكأنه يسردها على من يسمعه بوضوح وبتفصيل مبينين. فبعد أن وضَّح رؤيته الخاصة في علو الهمة باتخاذه شخصه نموذجاً، ومستخدماً أسلوب مدح الذات والاعتزاز بالنفس التي هي من سمات الوعاظ والفقهاء يقول [81] :" ونظرت إلى علو همتي فرأيته عجبا، وذلك أنني أروم من العلم ما أتيقن أني لا أصل إليه، لأنني أحب نيل كل العلوم على اختلاف فنونها، وأريد استقصاء كل فن، وهذا أمر يعجز العمر عن بعضه، فإن عرض لي ذو همة في فن قد بلغ منتهاه رأيته ناقصاً في غيره، فلا أعد همته تامة."

الواقعية:

وقدَّم ابن الجوزي كثيراً من الحكم الإنسانية في كتابه هذا بأسلوب أدبي فكري مثير وممتع، تناول فيه المبادئ التي يجب أن تُحتذى من خلال منهج العقلانية الواقعية، ومن خلال الحوار الدائر بينه وبين القارئ؛ فها هو هنا يتناول الندم على ما فات فيقول[82]:" إن كانت لك همة في طلب الدنيا، فاجتهد في طلبها تربح التأسف على فوتها، فإن قعودك – متأسفاً على ما ناله غيرك، مع قصور اجتهادك – غاية العجز. فالدنيا إنما تراد لتعبر لا لتعمر ". يلاحظ القارئ أحياناً وقوع المؤلف في تناقض بين الفكرة المعروضة وفكرة سبقتها، وإن كان الهدف منه إثبات فكرته المعروضة، إلا أنه نتيجة لتسجيل المؤلف ما يخطر على باله من وحي اللحظة. ولكثافة حجم المادة المقدمة يحدث التكرار والتناقض.

ويتابع ابن الجوزي تقديم خواطره بأسلوبه المنطقي فيعرض النتيجة بحسب الأسباب [83]: " من تأمل عواقب المعاصي رآها قبيحة. ولقد تفكرت في أقوام أعرفهم يقرون بالزنا وغيره، فأرى من تعثرهم في الدنيا مع جلادتهم ما لا يقف عند حد. وكأنهم قد ألبسوا ظلمة، فالقلوب تنفر عنهم. ثم عكست فتفكرت في أقوام صابروا الهوى، وتركوا ما لا يحل، فمنهم من قد أينعت له ثمرات الدنيا من قوت مستلذ، ومهاد مستطاب، وعيش لذيذ، وجاه عريض، فإن ضاق بهم أمر وسعه الصبر وطيبه الرضا، ففهمت بالحال معنى قوله – تعالى –: " إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين "[84].

ويقول في سكرة الهوى [85]: " لولا غيبة العاصي في وقت المعاصي كان كالمعاند، غير أن الهوى يحول بينه وبين الفهم للحال، فلا يرى إلا قضاء شهوته، وإلا فلو لاحت له المخالفة خرج من الدين بالخلاف، فإنما يقصد هواه فيقع الخلاف ضمناً وتبعاً. ثم لو ميز العاقل بين قضاء وطره لحظة وانقضاء باقي العمر بالحسرة على قضاء ذلك الوطر لما قرب منه ولو أعطي الدنيا ".

ويدعو إلى طريقة لعلاج البلايا[86]" بالاستفادة من أوقات الابتلاء بالتفكر في عواقب الأمور، ومحاسبة النفس، والدعاء للخلاص من الآلام ".

السمة القصصية:

ويستحضر ابن الجوزي القصص القرآني جاذباً ومؤكداً على فكرته، ويقارن بين سيدنا آدم – عليه السلام – وسيدنا يوسف – عليه السلام – [87]:"قرأت سورة يوسف – عليه السلام –، فتعجبت من مدحه عليه السلام على صبره، وشرح قصته للناس، ورفع قدره بترك ما ترك. فتأملت خبيئة الأمر فإذا هي مخالفته للهوى المكروه. فقلت: واعجبا لو وافق هواه من كان يكون ؟ ولما خالفه لقد صار أمراً عظيماً تضرب الأمثال بصبره، ويفتخر على الخلق باجتهاده، وكل ذلك قد كان بصبر ساعة! فيا له عزاً وفخراً أن تملك نفسك ساعة الصبر عن

المحبوب وهو قريب! وبالعكس منه حالة آدم في موافقته هواه، لقد عادت نقيصة في حقه أبداً لولا التدارك فتاب عليه. فتلمحوا رحمكم الله عاقبة الصبر ونهاية الهوى. فالعاقل من ميز بين الأمرين: الحلوين والمرين. فإن من عدل ميزانه ولم تمل كفة الهوى رأى كل الأرباح في الصبر، وكل الخسران في موافقة النفس. وكفى بهذا موعظة في مخالفة الهوى لأهل النهى. والله الموفق".

خاتمة

لذلك فدراسة الكتاب في سن مبكر تنفع الأجيال بالعبر المستقاة فيه، وبفهم النفس الإنسانية والحفاظ عليها بما تعود فائدته على الذات نفسها وعلى من حولها. ولربما ساعدت هذه المحاور المختارة على إنجاز الأعمال بشكل أفضل مما كانت عليه، ولربما زاد سعي كل شخص في مناكب هذه الحياة الدنيا السعي الذي يوصله لمرضاة الخالق – عز وجل –.

الهوامش

(1) انظر ترجمته في: وفيات الأعيان 1: 279، البداية والنهاية 13: 28، مفتاح السعادة 1: 207، ذيل الروضتين 21، ابن الوردي2: 11، آداب اللغة 3: 91، دائرة المعارف الإسلامية 1: 125، مرآة الزمان 8: 481، الأعلام 3: 316

(2) انظر: الطويلي، أحمد، كتب الحب عند العرب، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، أغسطس 2001، ص62 " كان ابن الجوزي كثير التآليف، وكان مغرماً بالكتابة منذ الصغر، فقد كتب الحديث وعمره إحدى عشرة سنة، وكتب في الفقه والوعظ والتاريخ والأدب واللغة، وتزيد كتبه على ألف كتاب حسب ابن تيمية".

(3) صيد الخاطر، تحقيق عوض، ص 43.

(4) قسَّم كثير من مؤرخي الأدب أيام بني العباس إلى أربعة عصور أدبية متأثرين في ذلك بالأحداث السياسية التي جرت في هذه العصور، والعصر الرابع من 447 هـ إلى 656 هـ عند سقوط بغداد في أيدي التتار، وانتهاء الخلافة العباسية.

(5) [1] عبد القادر الجيلي، (470 هـ – 561 هـ) (1077 م – 1165 م).

(6) الشذر، طيبة صالح، ألفاظ الحياة الثقافية في مؤلفات أبي حيان التوحيدي، القاهرة، 1989، ص 470.

(7) عن كتاب شذرات الذهب، ج 4 ص 331.

(8) انظر كتاب الذيل على طبقات الحنابلة 1: 410.

(9) كتاب رحلة ابن جبير ، ص 196.

(10) الخليفة الناصر 575هـ – 622هـ.

(11) صيد الخاطر، ص 166.

(12) المصدر نفسه، ص 200.

(13) الإمام النمري القرطبي (ت 463 هـ).

(14) الإمام الغزالي (ت 505 هـ).

(15) الإمام ابن حزم) ت 456هـ).

(16) الخليفة المستضيء بنور الله 566 هـ – 574 هـ .

(17) وإن ذكرت بعض المصادر أن العلاقة بين الخليفة الناصر والإمام ابن الجوزي توترت في آخر أيامه ووصلت لدرجة الإيذاء. للمزيد انظر: كتاب صيد الخاطر، تحقيق ناجي وعلي الطنطاوي ، ص 32.

(18) انظر: إبراهيم، ناجية عبد الله، قراءة جديدة في مؤلفات ابن الجوزي، دار زهران، عمان، 2002، ص 4.

(19) انظر العلوجي، عبد الحميد، "مؤلفات ابن الجوزي"، مركز المخطوطات ،الكويت، 1992م: يعدد له 402 كتاباً منها 30 فقط مطبوعة.

(20) تذكرة الحفاظ، 133/4 و طبقات الحفاظ للسيوطي، ص 478.

(21) الذيل على طبقات الحنابلة، ج1 ص 413.

(22) الذهبي، عما جاء في كتاب طبقات المفسرين للسيوطي، ص 17.

(23) ابن كثير عن ابن الأثير، الكامل 10: 228.

(24) عوض، محمد عبد الرحمن، دراسة وتحقيق صيد الخاطر، دار كاتب وكتاب، بيروت. وهي الطبعة المعتمدة في هذه الدراسة.

وورد ذكر الكتاب في فهرست كتب ابن الجوزي في مجلة المجمع العلمي العراقي م31 ج15/2، وذكره الصفدي فيما له في فنون شتى وقال إنه خمسة وستون جزءاً (الوافي بالوفيات ج15 –17 /ق1/ ق 153)، بينما قال الداودي إنه في ثلاثة مجلدات (طبقات المفسرين ج1/ 272)، واكتفى بذكره ابن الفرات (تاريخ ابن الفرات م4 ج213/2)، ومنه نسخة خطية في المكتبة العباسية في البصرة كمل أوله وآخره بتاريخ يوم الأربعاء 16 جمادى الأولى سنة 700 هـ، 1300م. وهو بحث في العرفان والإلهيات والأخلاق وتأديب النفس. عن مخطوطات المكتبة العباسية في البصرة، مجلة المجمع العلمي العراقي، م8 / ص 296، 1961.

(25) انظر كتاب المجددون في الإسلام، ص 232.

(26) صيد الخاطر، ص 59.

(27) قال ابن الجوزي في ذكر تعليم الواعظ:" ينبغي لمن أراد أن يعظ الناس ويقص عليهم أن يحكم العلوم، ثم يريد وجه الله تعالى بوعظه، ويتعفف عن أموال الناس، وأحب له أن يكون له كسب وقناعة بما يملك، ومتى طمع في أموال الناس لم يؤمن عليه النفاق والرياء، ثم لا يقع وعظه منهم موقعاً." عن عبد الله، صالح عبد الرحمن، ابن الجوزي وتربية العقل، ص 89.

(28) صيد الخاطر، ص 17.

(29) صيد الخاطر، ص 40.
(30) صيد الخاطر، ص 18.
(31) المصدر نفسه، ص 185.
(32) صيد الخاطر، ص 136.
(33) صيد الخاطر،ص 32.
(34) المصدر نفسه، ص 202.
(35) صيد الخاطر، ص 51.
(36) المصدر نفسه، ص 61.
(37) صيد الخاطر، ص 76- 78.
(38) سورة البقرة، آية 32.
(39) سورة البقرة، آية 33.
(40) صيد الخاطر، ص 49.
(41) سورة المائدة، آية 54.
(42) صيد الخاطر، ص 32.
(43) سورة يوسف، آية 90.
(44) صيد الخاطر، ص 71.
(45) أبو النجيب السهروردي، (ت 563هـ).
(46) شهاب الدين عمر بن محمد بن عبد الله السهروردي، (ت 632هـ).
(47) التل، عمر سليم، متصوفة بغداد في القرن السادس الهجري، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، 2008، ص 27.
(48) أبو حامد الغزالي الإمام الفقيه الصوفي الشافعي حجة الإسلام (450هـ - 505 هـ).
(49) صيد الخاطر، ص 33.
(50) صيد الخاطر، ص 64.
(51) المصدر نفسه، ص 66.
(52) سورة المائدة آية 87.
(53) سورة الأنعام آية 90.
(54) صيد الخاطر، ص 47.
(55) صيد الخاطر، ص 48.
(56) سورة الزمر، آية 9.
(57) صيد الخاطر، ص 52. وقد تناول ابن الجوزي في هذه الخاطرة النكاح ووصف العلاقة الجسدية بين الرجل والمرأة مستخدماً الألفاظ الصريحة التي تبيحها مكانته فقيهاً.
(58) جاء في تعريف ابن العماد صاحب كتاب شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن الجوزي أن له مجوناً لطيفاً ومداعبات حلوة ولا ينفك من جارية حسناء". عن الطنطاوي في تحقيقه لمصارع العشاق، ص 30.
(59) صيد الخاطر، ص 104.
(60) الطويلي، أحمد، كتب الحب عند العرب، ص 61-64.
(61) صيد الخاطر، ص 66.
(62) المصدر نفسه، ص 120.
(63) صيد الخاطر، ص 118.
(64) المصدر نفسه، ص 195.
(65) سورة آل عمران، الآيات 28 -30.
(66) صيد الخاطر، ص 151.
(67) عملاً بقوله تعالى:" وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين" (سورة القصص، آية 77).
(68) المصدر نفسه، ص 23.
(69) الشعر لأبي الطيب المتنبي.
(70) صيد الخاطر، ص 218 .
(71) صيد الخاطر، ص 90.
(72) صيد الخاطر، ص 43.
(73) سورة طه آية 114.
(74) للمزيد انظر: حازم القرطاجني وأثر مخاطبة النفس والاستدلال العقلي في البلاغة.
(75) صيد الخاطر، ص 28.
(76) يستوحي ابن الجوزي موعظته من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة أشياء: صدقة جارية أو علم ينتفع به بعده أو ولد صالح يدعو له.
(77) صيد الخاطر، ص 219.
(78) صيد الخاطر، ص 31.
(79) المصدر نفسه، ص 121.
(80) سورة يوسف، آية 90.
(81) صيد الخاطر، ص 190.
(82) المصدر نفسه، ص 73.
(83) صيد الخاطر، ص 199.

المصادر والمراجع

إبراهيم، ناجية عبد الله، 2002، قراءة جديدة في مؤلفات ابن الجوزي، دار زهران، عمان.

ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن، صيد الخاطر، تحقيق ناجي الطنطاوي، وعلي الطنطاوي، 1960، دار الفكر، دمشق، ط1.

ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن، ذم الهوى، تحقيق أحمد عبد السلام عطا، 1993، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2.

ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن، صيد الخاطر، تحقيق محمد عبد الرحمن عوض، دار كاتب وكتاب، بيروت.

التل، عمر سليم عبد القادر، 2008، متصوفة بغداد في القرن السادس الهجري، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، عمان.

جليل، رشيد الفالح، 1979، ابن الجوزي ونظراته في التربية والتعليم، مجلة آداب الرافدين، العدد العاشر، بغداد.
الخولي، عبد البديع، 1990، التربية والتعليم عند ابن الجوزي، عالم الكتب، القاهرة.
الصعيدي، عبد المتعال، 1996، المجددون في الإسلام، مكتبة الآداب، القاهرة.
الطويلي، أحمد، 2001، كتب الحب عند العرب، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت.
عبد العال، حسن إبراهيم، 1988، الفكر التربوي عند الإمام أبي الفرج الجوزي، من كتاب أعلام التربية العربية الإسلامية، مكتب التربية العربي لدول الخليج، مجلد 3، ص 97- 137.
عبد الله، عبد الرحمن صالح، 1986، ابن الجوزي وتربية العقل، شركة مكة للطباعة والنشر، مكة.
العلوجي، عبد الحميد، 1965، مؤلفات ابن الجوزي، وزارة الثقافة والإرشاد، سلسلة الكتب الحديثة 9، شركة دار الجمهورية للنشر والطبع، بغداد.
عويضه، كامل محمد محمد، 1993، عبد الرحمن بن الجوزي شيخ الزهاد وإمام الوعاظ، دار الكتب العلمية، بيروت.
الغزولي، عبد العزيز سيد هاشم، 2000، ابن الجوزي الإمام المربي والواعظ البليغ والعالم المتفنن، دار القلم، دمشق.
محفوظ، محمد، 1977، كتاب مشيخة ابن الجوزي، طبع الشركة التونسية للتوزيع.
مهنا، علي جميل، 1970، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي القرشي ابن الجوزي ومقاماته الأدبية، رسالة دكتوراه، جامعة الأزهر، القاهرة.

The Book "Sayd al-Khater" or "Hunting the Idea" of Ibn al-Jawzi: Interaction of the Writer with Society

Basmah A. Dajani *

ABSTRACT

Essay-type literature is a form of literary art that has it's value at the personal level because it represents the sentimental side of and reflects the character of the author. It has a value at the public level because it represents a social aspect which reflects the society in which the writer lives, in terms of time and location.

The book "Sayd al-Khater" or "Hunting the Idea" by the Imam Abu al-Faraj Abd al-Rahman ibn al-Jawzi (AH 508– 597) is distinguished by its intellectual content, flowing literary language and exciting style.

Keywords: Literature, Khawater (Ideas), Social Life.

* The International Institution, University of Jordan. Received on 30/3/2010 and Accepted for Publication on 29/6/2011.